المحاضرة07: مفهوم القصة.

تمهيد:

توحي كلمة "قصة" بأشكال متنوعة من السرد اللغوي مثل: الحكاية والخرافة، والأسطورة، والقصص الشعبي، وقصص العشاق، وأخبار الملوك والفرسان وأخبار الأولين والآخرين... إلخ، والتراث العربي حافل بألوان متعددة من هذا السرد اللغوي[i]، نحو: قصص كليلة ودمنة، وكتب المقامات، وقصص الأنبياء، وحي بن يقظان، وألف ليلة وليلة... الخ، ثم إن القرآن وكتب السير والمغازي، وكتب التاريخ والأدب لا تخلو من ألوان القصص.

أولا - مفهوم القصة.

تعد القصة فنا من فنون التعبير الأدبي، تعالج قضية معينة من قضايا العالم الاجتماعي، أو السياسي أو الديني، أو الفلسفي، أو التاريخي...، بأسلوب فني جمالي أنيق عن طريق السرد والوصف والحوار. وتعني أيضا الشكل الجديد الذي تطورت إليه الرواية، ومنه أصبحت قصة فنية تعالج هموم الإنسان وقضاياه[ii]، بمعنى أن تعريف القصة تعريفا حقيقيا لا يتم إلا من خلال تطورها.

ولفظة "قصة" أو اشتقاقاتها، وردت في القرآن الكريم مرات عديدة كقوله تعالى «**إن هذا لهو القصص الحق**» آل عمران/62، وقوله أيضا: «**نحن نقص عليك نبأهم بالحق**» الكهف/13، وهذه الآيات بعيدا عن السياق القرآني تدل على أن القص بوصفه فعالية إخبارية فن عرفه الإنسان منذ القديم وأصبح بالمفهوم الفني المعاصر من أكثر الفنون النثرية حداثة من حيث الزمن.

غير أن خصائص القصة الحالية لا تنطبق على القصص كما عرفها العرب، حيث أصبحت تعني «كل فن قولي درامي – يقوم على أساس أحداث تكشف عن صراع، يحتمل أن يقع، بحيث يهب للمتلقي في النهاية متعة جمالية، بغض النظر عن وجود أو عدم وجود منفعة مباشرة»[iii].

ويختلف مفهوم القصة من ناقد إلى آخر، ولنا أن نورد جملة من التعاريف التي تتقاطع فيما بينها، فهي سرد واقعي أو خيالي، قد يكون نثرا أو شعرا ويقصد به إثارة الاهتمام والإمتاع، أو هي مجموعة من الأحداث المتخيلة المستمدة من واقع الحياة التي يمر بها الكاتب، ويقوم بها شخوص معينون، في مكان وزمان معينين، شريطة أن تترابط أحداثها وتتصاعد إلى ذروة التأزم، ثم تبدأ في التحلل إلى النهاية.

ومن تعريفات القصة التي تصب في هذا المعنى، أنها سرد قصير نسبيا، يهدف إلى إحداث تأثير فرد ما على القارئ، ويمتلك عناصر كالدراما[iv]، وعليه فإن فن القصة يعرفنا على جوانب خفية من الحياة أو النفس البشرية، بما يحدث متعة جمالية للمتلقي عن طريق تجسيد الحوادث ومسرحتها.

ثانيا- مفهوم القصة القصيرة.

حاول بعض الكتاب تحديد حجم القصة القصيرة التي تستغرقه قراءتها فمنهم من قال إنها القصة التي ينتهي المرء من قراءتها في مدة تتراوح بين ربع ساعة ونصف ساعة، وآخرون قالوا: إنها القصة التي تستغرق قراءتها نصف ساعة إلى ساعتين،[v] وهذه في الحقيقة مقاييس غير موضوعية لذا تنبه دارسون آخرون وحاولوا وضع مقياس أكثر موضوعية لا يتعلق بالقارئ وسرعته في القراءة أو بطئه، بل بعدد مفردات القصة نفسها

وبذلك فإن «القصة القصيرة يتراوح طولها بين ألف وخمس مائة وعشرة آلاف كلمة، وإذا نقصت عن هذا العدد —خمس مائة- كلمة سميت "سكاتش" وأما إذا زادت عن عشرة آلاف كلمة، و لم تطل طولا يجعلها قصة سميت "قصصية".[vi] ويذهب فريق آخر إلى القول بأن الفاصل ليس سرعة القراءة ولا بطئها وليس في الحجم كذلك، إنما هو حاسم من حيث ما يفرضه على بنية القصة من شروط، إذن فالقصة القصيرة نوع من السرد اللغوي يصور قطاعا من الحياة، ويقتصر على حادثة أو بضع حوادث يتألف منها موضوع مستقل بشخوصه ومقوماته، وتصور موقفا تاما من حيث التحليل والمعالجة والأثر الذي يتركه في المتلقي.[vii]

وهذا يعني أن القصة القصيرة تقوم أساسا على الوحدة في الحدث والموقف، أما التركيز فالمقصود به الاقتصاد في الزمان واللغة والشخوص، يضاف إلى هذا وحدة الانطباع، أي أن جميع عناصر القصة وأجزائها تعمل متآزرة بقصد إحداث التأثير الوجداني والذهني على المتلقي.